الفصل الخامس والعشرون

رواد فضاء المعلومات: قضايا ثقافية في مجتمعات المعلومات

Infonauts: Transcultural Issues in Information Societies

نادر ناغشينيه
Nader Naghshineh

مقدمة

أشعر في بعض الأحيان بقشعريرة عندما أقيس عمري بالأدوات التقنية التي أستخدمها وتخلصت منها خلال العشرين سنة الماضية: آلات تحسيب ميكانيكية تعمل يدوياً، وعارض شرائح، وآلات حاسبة، وبطاقات مثقوبة، وأشرطة ممغنطة، وكروت ذاكرة، و ZX-80 Sinclair، وكومودور، وحاسب شخصي صغير، وحاسب آلي من طراز أنتل Intel-based، والآن PDA موجود في كل مكان. وأتساءل عن عدد المحترفين والمتخصصين في مجال تقنية المعلومات الذين يملكون مثل هذه القطع المتحفية الخاصة ؟، وكم يؤثر ذلك على وضعي كمواطن في مجتمع المعلومات الكوني ؟ وعندما أجلس في مكتبي وتتاح لي معلومات في متناول اليد أكثر مما كان متوفراً لأجدادي. على الرغم من ذلك فإن هذا لا يجعلني أشعر بأنني أكثر ذكاء أو أكثر

معرفة ؛ فكلما زادت كمية المعلومات التي أحصل عليها من الإنترنت يكون التعامل معها تحدياً أكبر من الحصول عليها ، وهنالك غالبا رغبة للجمع بين المحدودية وبين الاكتشاف المفاجئ ، وأيضا هنالك تساؤل حول قضية الخصوصية عندما تكون المعلومات متاحة على الشبكة.

وقد أكتشفت مبكراً بأنه يمكنني تصميم وتطبيق خدمة معلومات طبقا لمقاييس محدده، وهنالك دائما قضية الثقافة التي أقحمت نفسها دون سابق إعلان ، لقد أرتبط الأداء باللمسات التجميلية الثقافية لكل من الهيئة الاستشارية للمعلومات والمستفيدين أنفسهم ، وهذا الأمر جعلني أفكر في مفهوم مجتمع المعرفة، وما إذا كان حدثاً عالمياً كتغيير أو عولمة حياتنا معلوماتياً informationalization ، بالإضافة لذلك يبدو أن هنالك تحدياً لما يسميه البعض التوجه الأحادي الثقافي monocultural orientation ، الذي ينظر للفرد على أنه عضو من ثقافة وحيدة فقط. ، ويبدو أن حقائق القرن الحادي والعشرين تشير إلى أن الانفجار المعلوماتي للمجتمع جعلنا نبحث عن هوية تمتد عبر العديد من الثقافات (انظر إلى موقع جامعة كياو Keio الموقع : www.sfc.keio.ac.jp/lt/en/gaiyou.html ، وقد قادتني مثل هذه الاعتبارات لعمل دراسة ميدانية لمدة ثمانية أشهر عن تأثير الثقافة على سلوك البحث عن المعلومات (تم التمويل بواسطة منحة ISLS ٧٨-٠٢٢٩ من أبريل إلى نوفمبر ١٩٩٩م)

المعلومات عبر العصور

مكنتني الدراسة من تتبع الجذور العملية التاريخية التي أدت إلى ظهور مجتمع المعلومات، ويبدو لي أن المفهوم قد مر بعدة عمليات ولادة خلال الألفيتين الماضيتين (Naghshineh 1999) فقبل خمسة عشر قرناً أسست الإمبراطورية الفارسية نظاما لإدارة المعلومات مبنياً على رمز موحد – وهو خط اتصال يعتمد عليه مع الخيول

السريعة pony express. وأسس العثمانيون أول مجتمع معلومات في العالم القديم في حدود إمكاناتهم التقنية (Naghshineh 1998) . وفي عصر الإنترنت الفيكتوري the Victorian Internet لاحظ ستاندجيت Standgate (1998) تأثير شبكات التلغراف على المجتمع ، وكانت ردة فعل الناس نحو هذه التقنية الجديدة كالتي نلاحظها الآن فيما يتعلق بالإنترنت. وكشفت الملاحظة عن قرب عن تحولات شبيهة في سلوك البحث عن المعلومات الخاص بكل اتصال واكتشاف في وسائل الإعلام بدءاً بالهاتف. والمذياع. والتلفاز حتى الأجهزة الشخصية المحمولة ، وترتب على كل منها إعادة تعريف لفضاء المعلومات وخصوصيتنا وشبكة العلاقات التي نستقبل ونرسل المعرفة من خلالها ، وعلى الرغم من ذلك لم يف أي منها بوعده.

وهنالك كثير من التهويل بشأن مجتمع المعلومات العالمي ؛ لكن إذا قارن الوضع في عشرين سنة مضت من الآن بالوضع الذي كان قبل ٢٥٠٠ سنة نجد أن الفرق هامشياً إذا تحدثنا بلغة المفاهيم (أنظر الشكل رقم ٢٥,١) ؛ فالوضعان مختلفان من الناحية التشغيلية إلا إذا ضيقنا تعريفنا للأثر الأساسي للتقنية كأداة للضبط أو للتحكم control بدلاً عن كونها أداة للتحرر emancipation . وحقيقة الأمر ان الفهم للمعلومات كأداة للتحكم أو كأداة للتحرر نتج عن دوافع ثقافية.

الشكل رقم (٢٥,١).

وينقسم مجتمعنا العالمي بسرعة لتقنيين technos ـ وهم الذين يعملون في مجال استغلال التقنية والاستفادة منها ـ وغير تقنيين tech-nots ـ وهم الذين يعملون على الهامش ويتساءلون عن سبب تسارع حدوث الأشياء ، وإذا كان العديد من الناس يرمون اللوم على الانفجار المعلوماتي ، فأنني لا أوافقهم في ذلك لأن الانفجار المعلوماتي يصاحب كل ثورة تقنية.

المعلومات والخلفية الثقافية

اعتقد أنه تم فرض حصار قوي علينا بواسطة مفهوم مجتمع المعلومات كما تدعي الدول المتقدمة ، ففي واقع الأمر قد يكون هناك العديد من مجتمعات المعلومات المختلفة التي تحكمها خلفيات ثقافية متباينة ، والسؤال الذي يفرض نفسه هو : كيف تكون هذه المجتمعات مجتمع المعلومات العالمي؟. وفي أثناء التوجه نحو إحراز تقدم في التعامل مع المعلومات تم تجاهل جزء حيوي ألا وهو الإنسان ، وقد تعلمت من الدراسة حقيقة أن كل الثقافات لا تتساوى في الاهتمام بتقنية المعلومات ، فالمعلومات هي قوة لم ندركها بوعي على الرغم من أنها تقيدنا بدرجات متفاوتة ، ومن النادر أن نعترف بوجود هذه القوة في تفاعلنا أو تعاملنا وأن فهمنا لها يعتمد بدرجة كبيرة على نشأتنا الثقافية ، وربما لهذا السبب يبدو أن هناك عقبات تعوق إنشاء تقنية معلومات فعالة عالمية وبرنامج عالمي لمحو أمية المعلومات.

يحتاج الإنسان لأن يكون حساساً في المسائل الثقافية مهما كان شكل برامج محو أمية تقنية المعلومات أو التعليم المخصص لها ، ويقال أننا قريباً سنكون في عالم تماثلي من صنعنا وستكون لنا علاقات تماثلية مع الآخرين الذين يبحرون في بحار المعلومات ، وسنرى تحويل الحاسب الشخصي إلى ماكينات تماثلية في أثناء فترة حياتنا وبحسب

اختيارنا نتصل بالمواقع. على الرغم من ذلك يمكن القول إن الوب لا تنمي العقول التي ترعرعت في مجتمعات ثقافية مختلفة.

يجب الحصول على إجابة لهذا السؤال المهم الذي مفادة ، ما مدى إسهام قضايا الثقافية التحويلية transculural أو المتعددة multicultural في برامج ناجحة لمحو أمية تقنية المعلومات؟ ، هل هذا يعني بالضرورة القدرة على تشكيل المجتمعات الموجودة إلى مجتمعات معلوماتية؟

إن إيران تمثل نموذجاً يوضح هذه النقطة ؛ فبدون شك يعد الإنترنت مثالاً يوضح كيفية احتضان المجتمع وتطويره للتقنية قبل حكومته ، لكن تظل القضية الأساسية باقية وهي تتمثل في التساؤل : هل يتجول الإنسان الإيراني على مواقع الإنترنت كما يفعل الأمريكي؟ ، كيف يمكننا قياس الأداء ؟ لدينا في هذا الصدد خيارات متنوعة من التجانس أو خيارات متجانسة. ويبدو أن البديل الثاني نتج عن قوة معظم تعليم محو أمية تقنية المعلومات ، هذا على الرغم من أنني شخصياً اتفق مع البديل الأول ، إننا في حاجة لتطوير رؤية لبرنامج محو أمية تقنية المعلومات من خلال إطار الثقافة حتى يحقق ثماره المرجوة ، فإيران تضم مجموعات عرقية متباينة غنية بإرثها الثقافي ، ويحتاج المرء لتطبيق المفاهيم الأساسية عند تدريس محو أمية تقنية المعلومات ، ونحاول غالباً جعل الطلاب يتميزون في هذه البرامج.

في عام ١٩٩٨ ، عندما كنت منتدباً للعمل في خدمات المعلومات والتوثيق العلمي الإيرانية (IRANDOC) أكتشفت أن هناك ثلاث عقبات تعوق برامج محو أمية تقنية المعلومات التي تهدف إلى تنمية مهارات المعلومات ، وأن هذه العقبات كانت شخصية واجتماعية وبيئية ، وتبين أن كل هذه العقبات كانت متأثرة بالخلفية الثقافية واللغوية كما أنها تؤثر في سلوك البحث عن المعلومات في المجالات الأساسية الستة

المتمثلة في : المبادرة ، والاختيار ، والاستكشاف ، والتكوين ، والجمع ، والعرض - والتي وردت في نموذج كولثاو لعملية البحث عن المعلومات – Kulthau's information seeking process model (Kulthau, 1991). وإذا بحثنا الأمر بعمق سنجد أن الثقافات الوطنية أصبحت مهمة بسبب قوة الوصول ، ودرجة انعدام الشك dubiety evasion ، ودرجة النظرة الجماعية / الفردية collectivism/individualism ، والقيم الخاصة بالجنس ، وأخيراً النظرة للحياة ؛ فالثقافة تشكل الطرق التي بموجبها يتم تحديد ظروف الحياة - أي استهلاك وإنتاج وتوزيع المنتجات الحسية والمعنوية وأفكار الفرد عن الحوار أو جدل المجتمع حول ما هو جيد وما هو حقيقي وما هو مفيد ، وقد حاولت أن أناقش هذه المسألة.

مفهوم داديه– نافارد

بدأت أولاً بتعريف البرنامج الثقافي لمحو أمية المعلومات وتقنية المعلومات ، وكتب عنها أنها تقوم بتجهيز الطلاب بصورة أفضل لاكتساب ونشر وتوطين مثل هذا التدريب ، وعلى المستوى العملي ثبت أنه أكثر فعالية في تدريس المهارات ويتيح فرصة أفضل لتقبل المفاهيم وتبنيها ، فالمبادئ واحدة ، سواء أكنت تتعامل مع أكاديميين أم مع رجال أعمال.

لهذا كان المفهوم المعروف باسم **داديه– نافارد** Dadeh-Navard (أو قل افتراضاً رواد فضاء المعلومات Infonaut) مفهوماً واعداً ، واعتماداً بشكل تقريبي على مفهوم استشاري المعلومات الذي طورها الجيش الإيراني في الثمانينيات من القرن العشرين مع استعارة عناصر من أدوات سدنة المعلومات gatekeepers السائدة في حقبة السبعينيات من ذلكم القرن ، يقرب هذا المفهوم الشقة بين الحواجز الثقافية ، كما أنه اعتبر كعامل

من عوامل التغيير في المجتمع المستهدف ، ولكي ينجح يجب أن يقدم وساطة disintermediation فعالة ومساعدة المجتمع المستهدف في تطوير هويات identities جديدة، وتحديد أو تعريف ممتلكات معلوماتية جديدة ، ومساعدة المجتمع المستهدف كذلك في تحديد علاقات ديناميكية بين أوساط الممتلكات ، وباختصار إنشاء غلاف Dadeh-Sephrs (Info-Spheres) جديد وفعال للمعلومات ، وهذا قد يضمن المستوى الأساسي من تجارة المعلومات العالمية بين المجموعات الثقافية المتنوعة.

يجد البعض أن وجود الوساطة الفعالة يبدو متعارضاً مع هذا الوضع ، وإذا نجح مشروع رواد فضاء المعلومات فقد لا تكون هناك حاجة لها — هذا ما يبدو — لكن هذا بالضبط هو عمل رواد فضاء المعلومات ؛ ذلك تمشياً مع المثل القائل إن تعليم الشخص كيفية صيد الأسماك لهو أفضل من صيد الأسماك وإطعامها إياه. إن تطوير المهارات يتم بعلاقة مباشرة مع مهارات تقنية المعلومات للمجتمع المستهدف.

ويشير مفهوم داديه ـ نافارد (رواد فضاء المعلومات) أيضاً إلى ضرورة وجود أي برنامج ناجح لمحو أمية تقنية المعلومات من أجل التعامل مع المجالات الأساسية التالية :

١- إنتاج المعرفة والتعريف بها ونشرها : ويشمل ذلك مصادر المعرفة كالكتب، والأشرطة، والأفلام، والخرائط، والأقراص المرنة، وكل وسائل الإعلام، وينبغي أن يتعلم الطالب كيفية التعامل مع هذه المواد على أساس أنها أشكال وظيفية ، و يجب أن يتعلم الطالب استيعاب العمليات التي تؤدي إلى إنتاج المعرفة والتعرف عليها وتقييم مختلف الطرق التي تؤدي إلى نشرها أو تداولها.

٢- علم الاجتماع وعلم النفس وعلوم الاتصالات : فعلى الطلاب كأعضاء في قطاع الخدمات أن يكونوا ملمين بالأدوات التي تمكنهم من خدمة المجتمع الذي يحتاج لخدمة المعلومات بصورة أفضل، وهذا يرتبط مباشرة بمفهوم القيمة وبناءً على ذلك ينتج دعم المجتمع لخدمات المكتبة.

٣- التقنية والإدارة: هذا هو الجزء الأصعب في التصميم لأنه لا يركز بالضرورة على الحاسبات بل يركز على كيفية تيسير التقنية لأنشطة المكتبة. فلا ينبغي تدريس الطلا ب في أي مجال محدد للتقنية، بل يجب إعطاؤهم الأدوات الأساسية التي تمكنهم من التعرف بشكل أفضل على التقنية واستخدامها لأداء المهام التي يتعاملون معها، وينطبق نفس الشيء على الإدارة؛ فالأنشطة كتقاسم الموارد تقع تحت مظلة أساليب الإدارة.

خاتمة

أظن أننا في حاجة لمناقشة قضية ما إذا كانت هنالك عوامل ثقافية تراعى عند تصميم المنهج . وفي هذه الأثناء يجري إعداد تجربة في جامعة جلاسجو في Hسكتلندا منحت فيها مواد محو أمية تقنية المعلومات المتوفرة على الخط المباشر لطلاب جامعة طهران ، وستعالج نتيجة مقارنة تجارب الطلاب وتعلمهم بعض المسائل التي طرحتها بصورة مباشرة ، وإنني مقتنع بأن هذا هو التحدي الحقيقي في التدريس – أي تدريس المعرفة بشكل خلاق وجذاب وتركها لتختار طرقها الخاصة بها النابعة من ثقافتها.

المراجع

Kulthau, C. C. (1991) Inside the Search Process: information seeking from the user's perspective, journal of the American Society for Information Science, 42 71.(5), 361-

Naghshineh, N. (1998) The Force of Change: libraries as a social instrument: a concise case study of Iran, Library Review, 47 (4), 225-9.

Naghshineh, N. (1999) Impact of Transculturalism in Information Seeking Styles and
the Role of Information Gatekeeper Concept. Paper delivered at Vienna, Unpublished. VA.

Standgate, T. (1998) The Victorian Internet, London, Orion Books.